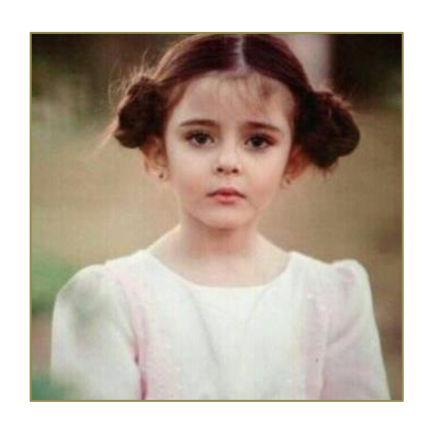
أطفال في الأمم المتحدة

حلمي صابر ، ربيع الآخر ١٤٤٥هـ



مرةً، حاورتُ طفلة في عينيها غرابة

https://archive.org/details/02_20220819

دمعها صامتٌ، أبى على خديها أن يجري
كانت أنيقة، لكن الحزنَ في جسدها يجري،
أخوها مقتول وبيتها مهدوم بهذا أخبرتني
أردتُ أن أخففَ عنها، فصور أصحابي من الشام ولبنان وأفغانستان، وغيرهم كثيرة عندي
وكنتُ مترددا لأعرضَ لها صورَ أصحابي التي أحملها في جيبي



قلت لها بأنني سأذهب معها إلى الأمم المتحدة نشتكي

ولم نكمل حديثنا، حتى اقتربَ أمامنا الجندي

صرختُ فيها : اهربي

أخذني جندي الأمم الغير متحدة ، واتهمني وحبسني ثم بعد قضاء المدة أخرجني

وإلى يومك هذا لا أعرف تهمتي

واليوم أعاودُ الكرة

فأخذوني أطفال غزة إلى الأمم المتحدة جميعنا نشتكي

فقد ملأتْ صورهم حقيبتي ورفوفي وجيبي وخاصة قلبي





سَألنَا حارسُ الأمم المتحدة : ماذا عندكم ؟ من أنتم ؟ من أين أتيتم ؟

قلتُ له: ماذا أصنعُ لك !

لا تعرضُ السي إن إن صورنا ولا الفوكس نيوز ولا غيرهم من القنوات الأمريكية والأوروبية

وسامحني إذا الطين يعلوهم أيها الحارس الأممي

فللتو انتشلناهم من القصفِ

وليس عندنا ماء لأغسلهم

وليس عندنا كهرباء لأغسل ملابسهم

انظر هذه الصورة

ألا ترى خلف الصور بيتهم

على هدمهِ جلسوا

والطين علا وجوههم

أعدك حينما تسمع نهاية قصتنا

سنستخدمُ مياه الأمم المتحدة وكهربتها لغسلهم مع ثيابهم

لا تقلقْ ، ستدفعُ الدول العربية فاتورتهم

لكنَّ العربَ للقنابلِ عن الأطفال لم يدفعوا

عفوا لم أقصدْ دفعَ ما للمجاهدين بحاجةٍ له

إنما قصدتُ عن القصفِ والهدم لم يدفعوا

كأنهم مع الصهاينة تقاولوا

الصهاينة يهدمون

ولفاتورة الهدمِ ندفعُ

شكرتُ الجندي لقوله: حسنا بسرعة لا يراكم أحد أنا متعاطف معكم،

وأخرجَ من جيبه حلوى ووزعها على الصغار وأعطى الطفلةَ الوسطى المعلقة حلاوتين

ووزعت حلاوتي عليهم

دخلنا اجتماع ممثلي الدول. كان شكلنا غريبا، والجميع ألتفت إلينا. ثلاثة أطفال حفاة، والاثنان أحذيتهم ممزقة. والبناطيل ممزقة. وكانت رائحتنا غير جيدة ؛ فالماءُ مقطوعٌ علينا.

نظروا إلينا وتوجهنا إلى منصة المتكلم

واستأذنا رئيس الجلسة البرازيلي في كلمة

أشار لنا بيديه انتظروا قليلا

حاول حراس الأمن منعنا

قال زاجرا لهم : اتركوهم

هؤلاء أطفال لا تخافوا منهم، والكبير الذي جاء بهم كأنه طفل مثلهم

وفي انتظار الكلمة، كنتُ امسحَ الطين عن وجوههم

وقبلتُ الطفلةَ الجالسة الثكلى التي لم تدرِ بعدُ عن هلاك والديها

أخوها عطف عليها وأسندها بكتفهِ

اقتربتْ مني ممثلة الدول الأفريقية وأعطتني لاصقا طبيا للجرحى وأشارت إلى صاحبة الحذاء الوردي

ثم تركتني ومسحت بيدها الطين من وجهِ الطفلة الكبرى وهي راجعة إلى كرسيها

ثم جاء ممثل دول أمريكا الجنوبية بمعقم ومسح الجروح

ثم جاء طبيب ممثل الدول العربية السوري

وأخرج سماعته ووضعها على صدورهم

وعيناه تدمع وسألنا : أأنتم من غزة ؟

هززتُ له بالموافقة رأسي

خلع جاكيته ولف الطفلين الجالسين

وجاء ممثل الخليج العربي ولف بعباءته البقية

وجاء ممثل الشمال الأفريقي العربي وأخرج من جيبه حلوى

وشرعَ يقبل وجوههم

وأجلستُ الصغيرة حضني

وكان الدور لممثل الدولة الصهيونية وطالب بإقالة الرئيس الأممي

لأنه سمح في المجلس بهذه الفوضى

وجاءت ممثلة بولندا مسرعة نحو الصغار ونحوي

وأعطت الأطفال ملابس جديدة ومسحة عطر

حجبتُ الأطفال بلحاف احتراما لخصوصيتهم وشرعتْ البولندية في تغيير ملابسهم

غيرتْ ملابسهم وكانت تمسح عينيها وهي تبكي

سألتها ما بكِ ؟

قالت تذكرت طفولة أمي وحبسها في السجون النازية

قالت لي أمي : أحرقنا هتلر

ورفعتُ صوتي ووصل ميكرفون المنصة صوتي:

وهؤلاء أيضا أحرِقوا !

قالت نعم ولهذا جئت مسرعة لأساعدهم

أَصَمتَ الرئيس الأممي المندوب الصهيوني ولم يطرده من المجلس

جاء دورنا في الحديث

سألتُ الصغار من منكم سيتكلم ؟

دفعتُ الطفلَ الأكبر وقلت له أنت الذي ستتكلم

أخبرهم عن الطائرة الصهيونية التي حملت القنبلة الأمريكية وعلى المشفى ألقت

وشظاياها التي أخذت معها والديك. أخبرهم !

أخبرهم عن خالتك رانية وأطفالها، وأخبرهم عن خالك العريس الجديد وكيف حملناه قطعا وأكواما،

وأخبرهم عن جارتكم سلمى التي أسقطتْ حملها من الرعبِ

وقفَ فادي أمام المنصة مرتبكا يفرك يديه يرفع عينيه ويخفضها.

وكان رئيس المجلس حنونا لبقا ، فسأل فادي ليخففَ عنه الروعَ

سأله: ماذا ستعمل يا ولدي حينما تكبر ؟

كنت خائفا أن يقول سأنتقم ؛ لأن هنا مجلس الدبلوماسية السياسية

قلْ لهم ما يريدون سماعه، وافعل لاحقا ما تريد

قل أية شيء وفي نفس الوقت لا شيء ؛ هذه الدبلوماسية العالمية

لكن الطفل الصغير أجاب بما أبكى المجلس

قال فادي : نحن في فلسطين المحتلة لا نكبر

يُقتلُ فينا الرجلُ والمرأة والطفلُ، وحتى الحملَ في بطنِ أمهِ بالقصفِ يقتل

نحن في فلسطين لا نكبر

جدتي قُتِلت في الثلاثينَ وربما كان عمرها أصغر

عفوا نسيتُ عددَ كثرة القتلى في أهلي

ما عدتُ أذكر

تأثر المجلس بما سمعوا ، وقفَ الجميع للطفل الفلسطيني وقالوا بصوتٍ واحدٍ :

بل معنا ستكبر

توجّهَ المؤتمرون إلى الأطفال وخفتُ على الصغار ؛ فوضعتهم خلف ظهري وأحطتهم بيدي

وجاء جميع ممثلي الدول العربية وأحاطوني وأحاطوا الصغار معي

ونزل المجلس كله يحييهم ويداعبهم ويمسح رؤوسهم

أرادَ ممثل الصهيونية أن يكذبنا

فأعطى الصغارُ ظهرهم له

وأعطيته معهم ظهري

وأشرتُ له بأصبعي

يا قاتلَ الأطفال: اخرجْ

لكنه خرج قبل أن يسمعني

انتهى